الفصل الثاني

الإسراء والمِعراج مِن الكتاب والسُنة

نصوص قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير)[1] .

(والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ماكذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على مايرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى)[2] .

(إنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثَمَّ أمين . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو على

---

(١) سورة الإسراء : آية ١ .

(٢) سورة النجم : الآيات ١ – ١٨ .

الغيب بضنين)[1] .

* * *

إن فى آيات سورة النجم الشريفة تكريماً عظيماً للرسول ﷺ . فقد :

١ – نزه الله علمه عن الضلال : (ما ضل صاحبكم) .

٢ – وعمله عن الغواية : (وما غوى) .

٣ – ونطقه عن الهوى : (وما ينطق عن الهوى) .

٤ – وفؤاده عن التكذيب : (ما كذب الفؤاد ما رأى) .

٥ – وبصره عن الزيغ : (ما زاغ البصر) أى ما التفت إلى غير الجهة التى تعنيه .

٦ – وعن الطغيان : (وما طغى) ، والطغيان مجاوزة الحد .

ولقد أكد الله سبحانه وتعالى ذلك كله ، وأقسم عليه ، ولا ريب أنه ثناء من رب العزة على رسوله ﷺ ، فى أروع صورة . وسنزيد هذه الآيات شرحاً فيما بعد إن شاء الله .

* * *

(١) سورة التكوير : الآيات ١٩ – ٢٤ .

الأحاديث النبوية

١

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال :

« أتيت بالبراق : وهو دابة بيضاء ، فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته ، فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة فى الحلقة التى يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتانى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن .

فقال جبريل : أصبت الفطرة .

قال : ثم عرج بى إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل فقيل له : من أنت ؟

قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟

قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل، فقيل له : من أنت ؟

قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبا بى ودعوا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟

قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن . فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟

قال : جبريل ، فقيل : ومن معك — قال : محمد ، فقيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس ، فرحب بى ودعا لى بخير، يقول الله تعالى :

(ورفعناه مكاناً علياً)[1] .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟

(١) سورة مريم : آية ٥٧

قال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال محمد ، فقيل : قد أرسل إليه ؟

قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون ، فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟

قال : جبريل : قيل : ومن معك ؟

قال : محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ . قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟

قال : جبريل : فقيل : ومن معك ؟

قال : محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا : فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك . ثم لا يعودون إليه .

ثم ذهبت إلى سدرة المنتهى ، فإذا أوراقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها ، قال : فأوحى الله إلىَّ ما أوحى . وقد فرض علىَّ فى كل يوم وليلة خمسين صلاة .

فنزلت حتى انتهيت إلى موسى . قال : ما فرض ربك على أمتك ؟

قلت : خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، قال : ارجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، وإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم .

قال : فرجعت إلى ربى فقلت : أى رب خفف عن أمتى ، فحط عن أمتى خمساً .

فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال : ما فعلت ؟ فقلت حط عنى خمساً ، فقال : إن أمتك لا تطيق ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك .

قال : فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى . ويحط عنى خمساً خمساً حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة ؛ فلم يعملها كتبت له حسنة . فإن عملها كتبت له عشراً ، ومن هم بسيئة ، فلم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة .

فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته . فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقال رسول الله ﷺ :

« لقد رجعت إلى ربى حتى استحييت » .

رواه مسلم بهذا السياق .

قال البيهقى : وفى هذا السياق : أن المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس .

ويقول ابن كثير عن ذلك :

وهذا الذى قاله هو الحق الذى لا شك فيه ولا مرية .

* * *

وقبل أن نبدأ أحاديث أخرى نذكر أنه :

ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء ، والمتكلمين ، إلى أن الإسراء والمعراج :

وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة .

بجسد النبى ﷺ وروحه .

بعدالبعثة .

ولقد توارد على ذلك – كما يقول الإمام ابن حجر – ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغى العدول عن ذلك ، إذ ليس فى العقل ما يحيله [1] حتى يحتاج إلى تأويل .

ولو كان ذلك مناماً ، أو بالروح فقط لما كذب رسول ﷺ مكذب ، لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس .

إن الناس فى الرؤيا يرون أنهم سافروا وأبعدوا ، وذهبوا وجاءوا وعقدوا العقود ورأوا نتائج عقودهم ، وثمار عهودهم ، فلو كنا بصدد

---

(١) يفرضه مستحيلا

رؤيا لما ارتاب فى صدق الصادق الصدوق صلوات الله وسلامه عليه إنسان .

ولما أشفقت السيدة أم هانئ رضى الله عنها على رسول الله ، ﷺ ، لما أخبرها الخبر وقال : إنه سيحدث الناس به ، فأرادت منه أن يعدل عن ذلك قائلة : إنهم سيكذبونك . فلم يستجب صلوات الله وسلامه عليه لنصيحتها ، لأن الحق ينبغى أن يذاع ، وأذاعه ، ﷺ ، بين الناس ، وحدث ما حدث مما سنذكر بعضه فيما بعد إن شاء الله .

٢

وفى حديث عند الطبرانى والبزاز أنه عليه الصلاة والسلام : مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان .

فقال لجبريل عليه السلام : ما هذا ؟

قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله ، تضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين .

ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شىء .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة .

ثم أتى على قوم ، على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ،

يسرحون كما تسرح الأنعام ، يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم .

فقال : ما هؤلاء ؟

قال : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما ربك بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ، ولحم نئ خبيث ، فجعلوا يأكلون من النئ الخبيث ويدعون النضيج .

فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال جبريل :

هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً ، فتأتى رجلا خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح .

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا الرجل من أمتك ، تكون عليه أمانات الناس ، لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها .

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء .

قال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء الفتنة .

قال : ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها .

ثم أتى على وادٍ توجد فيه ريح طيبة باردة ، وريح مسك ، وسمع صوتاً .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت الجنة ، تقول :

رب آتنى بما وعدتنى ، فقد كثرت غرفى وإستبرقى ، وحريرى وسندسى ، وعبقرى ، ولؤلؤى ، ومرجانى ، وفضتى ، وذهبى ، وأكوابى ، وصحافى وأباريقى ، ومراكبى ، وعسلى ، ومائى ، ولبنى ، وخمرى ، فآتنى بما وعدتنى ! !

قال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بى وبرسلى ، وعمل صالحاً ولم يشرك بى شيئا ، ولم يتخذ من دون الله أنداداً .

ومن خشينى فهو آمن ، ومن سألنى فقد أعطيته ، ومن أقرضنى جازيته ، ومن توكل علىَّ كفيته .

إننى أنا الله لا إله إلا أنا ، لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين :

قالت : فقد رضيت .

ثم أتى على وادٍ فسمع صوتا منكراً ووجد ريحاً منتنة .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت جهنم ، تقول :

رب آتنى بماوعدتنى : فقد كثرت سلاسلى ، وأغلالى وسعيرى وحميمى ، وضريعى ، وغسّاقى ، وعذابى ، وقد بعد قعرى ، واشتد حرى ، فآتنى بما وعدتنى .

قال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر كافرة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب .

قالت : قد رضيت .

فسار حتى أتى بيت المقدس .

٣

وفى رواية أبى سعيد عندالبيهقى : دعانى داعٍ عن يمينى ، أنظرنى أسألك ، فلم أجبه .

ثم دعانى آخر عن يسارى لذلك فلم أجبه . وفيه :

إذا امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى ، فقالت :

يا محمد : أنظرنى أسألك ؛ فلم ألتفت إليها . وفيه :

أن جبريل قال له :

أما الداعى الأول : فهو داعى اليهود ؛ ولو أجبته لتهودت أمتك .

وأما الثانى : فداعى النصارى ، ولو أجبته لتنصرت أمتك .

وأما المرأة : فالدنيا .

وفى حديث أبى سعيد : أنه رأى أخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد ، وأخرى عليها لحم نتن ، عليها ناس يأكلون .

قال جبريل : هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام .

وفيه : أنه مر بقوم بطونهم أمثال البيوت ، كلما نهض أحدهم خر ، وأن جبريل قال له :

هم أكلة الربا .

وأنه مر بقوم مشافرهم كالإبل ، يلتقمون جمراً فيخرج من أسافلهم ، وأن جبريل قال :

هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً .

وأنه مر بنساء تعلقن بثديهن ، وأنهن الزوانى .

وأنه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم ، فيطعمون ، وأنهم الغمازون اللمازون .

وفيه : حتى أتيت بيت المقدس ، أوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الأنبياء تربطها فيها فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصلى كل واحد منا ركعتين .

٤

وفى رواية أنس عند مسلم :

ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءنى جبريل عليه السلام ، بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن .

فقال جبريل :

اخترت الفطرة – أى اخترت اللبن الذى عليه بنيت الخلقة – وقال النووى :

المراد بالفطرة هنا : الإسلام والاستقامة .

٥

وفى رواية ابن مسعود نحوه ، وزاد :

ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين : ما بين قائم ، وراكع وساجد .

ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة ، فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم .

٦

وفى رواية أبى أمامة عند الطبرانى :
ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً ﷺ .

٧

وأخرج البزاز من طريق قتادة عن أنس :
«أن محمداً ﷺ رأى ربه عز وجل»

٨

وأخرج البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى :
(وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) .
قال :
« هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ، ليلة أسرى به » .
وأخرج الطبرانى فى الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول :
« إن محمداً ﷺ ، رأى ربه مرتين : مرة ببصره ، ومرة بفؤاده » .
وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال :

نظر محمد إلى ربه ، قال عكرمة : فقلت له : نظر محمد إلى ربه ؟ قال : نعم ، جعل الكلام لموسى ، والخلة لإبراهيم ، والنظر لمحمد ﷺ .

٩

وأخرج البيهقى فى (كتاب الرؤيا) بلفظ :

« إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة ، واصطفى موسى بالكلام ، واصطفى محمداً بالرؤيا » .

وأخرجه بلفظ :

« أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤيا لمحمد ﷺ ؟ » .

١٠

وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« رأيت ربى عز وجل » .

١١

وأخرج مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« مررت ليلة أسرى بى على موسى عليه السلام قائماً يصلى فى قبره » .

١٢

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس ، أن النبى ﷺ « مر على موسى وهو قائم يصلى فى قبره » [١] .

١٣

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة عن أنس :
« أن النبى ﷺ فرضت عليه الصلاة ليلة أسرى به » .

١٤

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس عن أبى بن كعب ، عن رسول الله ﷺ قال :
« ليلة أسرى بى وجدت ريحاً طيبة ، فقلت : يا جبريل ، ما هذه ؟ قال :
هذه الماشطة وزوجها وابنها ، بينما هى تمشط ابنة فرعون ، إذ سقط المشط من يدها ، فقالت تعس فرعون ، فأخبرت أباها فقتلها .

(١) وهذه رواية أخرى تؤيد السابقة ، رويناها متعمدين لما سنذكره من هذا الموضوع .

١٥

وأخرج أحمد والنسائى والبزاز والطبرانى والبيهقى ، وابن مردويه بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

قال رسول الله ﷺ :

ولما [١] أسرى بى مرت بى رائحة طيبة ، فقلت :

ما هذه الرائحة ؟

قالوا : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط مشطها من يدها ، فقالت بسم الله .

فقالت ابنة فرعون : أبى ؟

قالت : ربى هو ربك ورب أبيك .

قالت : أولك رب غير أبى ؟

قالت : نعم .

فدعاها فقال : ألك رب غيرى ؟

قالت : نعم ، ربى وربك الله .

فأمر ببقرة من نحاس ، فأحميت ، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها فألقوا واحداً واحداً ، حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال :

قعى يا أمه ولا تقاعسى فإنك على حق .

---

(١) هذه رواية غير السابقة .

قال : وتكلم أربعة وهم صغار ، هذا ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم .

١٦

وأخرج الترمذى – وحسنه وابن مردويه من طريق عبد الرحمن عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

« لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال :

يا محمد ! أقرئ أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم » .

١٧

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه ، عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به مر على إبراهيم عليه السلام ، فقال له إبراهيم :

مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة ، وأرضها واسعة ، فقال النبى ﷺ :

« وما غراس الجنة ؟

قال : لا حول ولا قوة إلا بالله » .

١٨

وأخرج أحمد وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن جبير عن أنس قال :

قال رسول الله ﷺ :

« لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت :

من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون فى أعراضهم » .

١٩

وأخرج ابن مردويه ، من طريق قتادة وسليمان التيمى وثمامة وعلى ابن زيد ، عن أنس أن النبى ﷺ قال :

« ليلة أسرى بى مررت بناس تقرض شفاههم بمقارض من نار كلما قرضت عادت .

فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء أمتك ، يقولون ما لا يفعلون » .

٢٠

وأخرج ابن ماجه والحكيم الترمذى فى (نوادر الأصول) ، وابن أبى حاتم وابن مردويه من طريق يزيد بن أبى مالك ، عن أنس قال .

قال رسول الله ﷺ :

« رأيت ليلة أسرى بى مكتوباً على باب الجنة : الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر .

فقلت لجبريل :

ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟

قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة » .

٢١

أخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ :

« رأيت ليلة أسرى بى رجلا يسبح فى نهر يلقم بالحجارة .

فسألت : من هذا ؟

فقيل لى : هذا آكل الربا » .

٢٢

وجاء فى رواية أبى سعيد الخدرى عن البيهقى ، وفى رواية أبى هريرة عن ابن أبى حاتم :

« فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر ، فيقول :

اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون ، قال :

فتجىء السابلة ، فتطؤهم ، قال فسمعتهم يضجون إلى الله ، قال :

قلت يا جبريل من هؤلاء ؟

قال : هؤلاء من أمتك :

(الذين يأكلون الربا ، لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) [١] .

٢٣

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لما أسرى بى انتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها أمثال القلال » .

---

(١) سورة البقرة من آية ٢٧٥ .

٢٤

وعن ابن عباس رضى الله عنهما – فيما رواه الإمام أحمد قال : قال رسول الله ﷺ :

« لما كانت ليلة أسرى بى . وأصبحت بمكة ، فظعت أمرى . وعرفت أن الناس مكذبىَّ » .

قال : فر عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إلىّ . فقال له أبو جهل كالمستهزئ :

هل كان من شىء ؟

فقال رسول الله ﷺ :

« نعم » .

قال : ما هو ؟

قال :

« إنه أسرى بى الليلة » .

قال : إلى أين ؟

قال :

« إلى بيت المقدس » .

قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال :

« نعم »

قال : فلم ير أنه يكذبه ، مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا .

قال : أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى ؟

فقال رسول الله ﷺ :

« نعم »

فانطلق أبو جهل إلى قريش فقال :

هيا يا معشر بنى لؤى .

قال : فانتفضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما .

فقال أبو جهل : حدث قومك بما حدثتنى .

فقال رسول الله ، ﷺ :

« إنى أسرى بى الليلة » .

قالوا : إلى أين ؟

قال :

« إلى بيت المقدس » .

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال :

« نعم »

فإذا بالقوم بين مصفق ، وبين واضع يده على رأسه متعجباً !

قالوا : وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟

– وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد – فقال رسول الله ﷺ :

« فذهبت أنعت ، فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت فجيء بالمسجد وأنا أنظر ، حتى وضع دون دار عقيل . فنعته وأنا أنظر إليه » .

قال : فقال القوم : « أما النعت فوالله لقد أصاب » .

وعن الحسن : أنه فى يوم الحديث عن الإسراء : ارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بكر ، فقالوا له :

– هل لك يا أبا بكر فى صاحبك !

يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع إلى مكة !

فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ؟ !

فقالوا : لا ، ها هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس .

قال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك ؟ فوالله إنه ليخبرنى : أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه .

ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبى الله أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة .

قال :

« نعم »

قال : يا نبى الله فصفه لى فإنى قد جئته ؟

قال الحسن : فقال رسول الله ، ﷺ :

« فرجع لى حتى نظرت إليه » . فجعل رسول الله ، ﷺ ، يصفه لأبى بكر ، ويقول أبو بكر : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، قال : حتى انتهى . قال رسول الله ﷺ ، لأبى بكر : وأنت يأبا بكر : « الصديق » فيومئذ سماه « الصديق » .

* * *

هذا هو الموجز الذى ترويه السنة مؤيدة القرآن عن هذا النبأ الجليل ، ولقد حاول ابن إسحاق أن يبين الحكمة فى هذا الحادث فقدم – حسبما يروى ابن هشام – لحديث الإسراء بكلمة نفيسة يقول فيها :

« وكان فى مسراه وما ذكر منه : بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وصدق . وكان من أمر الله على يقين .

فأسرى به كيف شاء وكما شاء : ليريه من آياته الكبرى ما أراده ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التى يصنع بها ما يريد » .

أما الإمام البوصيرى فإنه يقول فى « همزيته » المباركة :

فطوى الأرض سائراً والسموا
ت العلا فوقها له إسراء
نصف الليلة التى كان للمخـ
ـتار فيها على البراق استواء
وترقى به إلى قاب قوسين
وتـلك السـيادة الـقـعـــاء
رتب تسقط الأمانى حسرى
دونها مـا وراءهـن وراء
ثم وافى يحدث الناس شكراً
إذ أتته من ربه النعماء
وتحدى فارتاب كل مريب
أو يبقى مع السيول الغثاء ؟

هذا النبأ الجليل يسمعه قوم ، فلا يصل إلا إلى الجوانب الظاهرية منهم ، فيأخذون فى الجدل الشكلى ، أكان ذلك فى اليقظة ؟

أم كان ذلك فى النوم !

أكان ذلك بالروح والجسد ؟

أم كان بالروح فقط ؟

وهل كان ليلا ؟

أم كان نهاراً ؟

وهذه كلها صور من الجدل الذى يثور ، حينما يخف وزن الإيمان فى النفوس [1] ويسمع هذا النبأ قوم ، فيصل إلى أعماق قلوبهم ، فيتجهون فى صورة طبيعية إلى مغزاه العميق ، وإلى روحانيته السامية ، ويرون أن هذا النبأ : ينطوى على توجيهات لا ينبغى أن يمر عليها الناس مر الكرام . .

من هذه التوجيهات :

١ – لقد كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، خاتمة سلسلة من الأنوار التى يرسلها الله إلى العالم بين الفينة والفينة لتهدى إلى الرشاد ، ولتقود إلى الله ، ولتسمو بالمؤمنين درجات فى معارج القدس ، لتصل

---

(١) يقول شوقى رحمه الله فى قصيدته التى عارض فيها الإمام البوصيرى هذه الأبيات الجميلة :

يتساءلون – وأنت أطهر هيكل ... بالروح أم بالهيكل الإسراء
بهما سموت مطهراً وكلاهما ... نور وروحانية وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة ... والله يفعل ما يرى ويشاء
تغشى الغيوب من العوالم كلما ... طويت سماء قلدتك سماء
فى كل منطقة حواشى نورها ... نون وأنت النقطة الزهراء
أنت الجمال بها وأنت المجتلى ... والكف والمرآة والحسناء
الله هيأ من حظيرة قدسه ... نزلا لذاتك لم يجزه علاء
العرش تحتك سدة وقوائم ... وماكب الروح الأمين وطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم ... حاشا لغيرك موعد ولقاء

بالجديرين منهم إلى الكمال المرجو ، عن طريق الإرشاد الإلهى . وكان الكتاب الذى أنزل عليه ، صلوات الله عليه وسلامه ، وهو القرآن : خاتم الكتب وأكملها ومهيمناً عليها .

ولأن رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، تخلق بأخلاق أكمل كتاب ربانى ، فهو إذن أكمل ربسول ، ومن هنا كانت إمامته ، صلوات الله عليه وسلامه بالرسل والأنبياء فى بيت المقدس .

ولأنه صلوات الله عليه وسلامه أكمل رسول :

كان من أجل ذلك أقرب المقربين إلى الله سبحانه وتعالى .

لقد تخطى الأرضين والسموات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل إلى ما لم يصل إليه بشر ، بل إلى ما لم يصل إليه جبريل نفسه ، عليه السلام ، لقد وصل ، صلوات الله وسلامه عليه إلى :

« قاب قوسين أو أدنى » .

وكما أن المعنى الذى يدل عليه نبأ المعراج : من وجود الأنبياء والرسل فى السموات ، ومن أن الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه ، أخذ يتجاوز هذه السموات الواحدة بعد الأخرى ، يتجاوز الأنبياء واحداً بعد الآخر ، نقول : كما أن المعنى الذى يدل عليه النبأ معنى مكانى ، فإنه أيضا – بل بطريق أولى – معنى روحى . أى أن الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه فى تساميه الروحى فى كل لحظة من اللحظات قد بلغ معراجه إلى درجات تجاوزت – فى روحانيتها – آدم فى سمائه الأولى ، ثم

تجاوزت . . . و . . . وهكذا حتى تجاوزت روحياً إبراهيم عليه السلام فى سمائه السابعة . لقد تجاوز رسول الله ، ﷺ كل ذلك ، وتجاوز الكون كله إلى سدرة المنتهى ، إلى السدرة المنتهى ، إلى شجرة النهاية ، ثم إلى حيث لا يبلغ ملك مقرب ، ولا نبى مرسل إلى « قاب قوسين أو أدنى » .

ولقد رأى من آيات ربه الكبرى ، هذا هو مقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه ! !

* * *

ولكن بعض الناس ينزل بنا من هذه الآفاق العليا والسموات السامية ، ومن الرحاب الإلهى . ينزل بنا منحدراً فيجادل فى الإسراء والمعراج .

أكان رؤيا ؟

أم كان يقظة ؟

أستغفر الله وأتوب إليه ! . .

إن ذلك الجدال إن دل على شىء فإنما يدل على ضعف الإيمان فى قلب المجادل المماري .

* * *

٢ – وإذا كانت التوجيهات السابقة ، إنما كانت لتدلنا على مقام رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، فنزداد بذلك تقديراً وحباً واتباعاً ، فإن من هدى الله سبحانه وتعالى وتوجيهاته فى نبأ الإسراء

والمعراج : هذه الرمزيات الأخلاقية التى تربط ربطاً محكماً بين الدين والأخلاق .

والواقع أن الأخلاق فى جو الإسلام مرتبطة بالدين ارتباطاً لا ينفصل : منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر ، إنها جزء من الدين الإسلامى ، لا يتجزأ ، مصدرها هو مصدره : إلهى ربانى .

وبعض الناس فى العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى .

يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الضمير ، بيد أن ذلك خطأ بين ، فالضمير يربى ويكون ، وتربيته وتكوينه هما شكله ، ونزعته واتجاهه ، الذى يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط .

إن الضمير يصنع كما تصنع المزيفات ، وهو إذن مقياس للأخلاق خاطئ .

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة العامة ، ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة : إنما يتحدث باسم فكرته هو ، منحرفة كانت هذه الفكرة أو غير منحرفة .

والمصلحة العامة إذن كأساس للأخلاق : إنما هى أساس غير مضمون .

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة الشخصية أو

اللذة ، أو إلى المنفعة ، وكل هذا وارد الغرب عندما انحرف هذا الغرب وألحد .

أما وارد الشرق الإسلامى ، أو بتعبير أدق ، وارد الإسلام الإلهى ، فإن مقياس الأخلاق فيه : إنما هو المبادئ الدينية ، إنما هو آيات القرآن ، وإنما هو الفضائل التى أوحاها الله ، سبحانه وتعالى . هذه الفضائل التى حددها القرآن فى أسلوب عربى مبين ، وتحدث عنها نبأ الإسراء والمعراج فى صور رمزية دالة هادفة مؤثرة ، وبينتها السُّنة النبوية الشريفة ، وركزها القرآن والسنة على أسس من الإيمان قوية ثابتة ، إنها فى رحلة الإسراء والمعراج تكون منهج حياة مؤسسة على الإيمان بالله ورسوله ، وهذا المنهج هو الذى نريد رسمه الآن بتوفيق الله تعالى .